الفصل الحادى عشر

الإشراف العلمى على الدراسات العليا

اهتمت بعض الدراسات بدراسة مشكلات الإشراف العلمى على الدراسات العليا . منها دراسة ويلش (١٩٧٩) Welsh . فقد قامت هذه الباحثة الإنجليزية بدراسة اعتمدت على مقابلاتها مع ٦٤ طالبا والمشرفين عليهم فى مختلف التخصصات بعد عام واحد من دراستهم . وقد وجدت اتفاقا فى تصور كل من الطلاب والمشرفين عن أدوارهم المختلفة . فقد كان الطلاب يتوقعون من مشرفيهم الخبرة والتوجيه العلمى كما يودون أن يهتم المشرفون بعملهم وأن يتحمسوا له وأن يكونوا منظمين جيدا بحيث يمكن مقابلتهم والإلتقاء بهم للمساعدة والتوجيه عند الحاجة .

أما المشرفون فقد ميزوا بين دورهم المهنى والعلمى ودورهم الإرشادى والتوجيهى . وأبدوا رغبتهم فى الالتقاء المنتظم مع طلابهم عند الحاجة . وعلى الرغم من هذا الاتفاق وجدت الباحثة أن نصف الطلاب قد أبدو تحفظا بالنسبة للإشراف العلمى الذى تلقوه . وتتلخص أهم مشكلات طلاب فيما يأتى :

١- عدم كفاية اللقاءات التى يحددها المشرفون لتوجيههم فقد ذكر الطلاب أن عدد اللقاءات مع المشرفين كان قليلا .

٢- عدم رضا الطلاب عن العلاقة الشخصية مع المشرفين . فقد ذكر ٤٠٪ من الطلاب أنه لم يتم أي اتصال اجتماعى مع مشرفيهم خارج الجامعة .

٣- اختلاف التوقعات بين الطلاب والمشرفين بالنسبة للدور المناط بكل منهم . فقد أظهرت الدراسة أن بعض الطلاب الذين يظنون أن لمشرفيهم دورا رئيسيا كان يتولى الإشراف عليهم مشرفون يعتقدون أن دورهم أقل بكثير . والعكس صحيح.

وقد كشفت الدراسة عن علاقة هذه المشكلات بالواقع الفعلى للمشرفين مثل كمية البحوث التى يقومون بها ونوع موضوعات البحوث التى يهتمون بها . فقد اتضح أن الطلاب الذين قاموا ببحوث تقع فى نطاق اهتمام مشرفيهم كانوا أكثر رضى وقناعة من زملائهم الذين درسوا موضوعات خارج اهتمام مشرفيهم أو بعيدة عن تخصصاتهم.

أساليب وطرق الإشراف العلمى :

تختلف أساليب الإشراف العلمى فى الجامعات المختلفة فقد يكون للطالب مشرف واحد وقد يكون له إلى جانب المشرف الرئيسى مشرف أو أكثر يكون متخصصا فى موضوع دراسة الطالب . وقد كشفت دراسة «ويلش» التى سبقت الإشارة إليها عن ثلاثة أساليب للإشراف العلمى على الدراسات العليا هى :

١- أسلوب الإشراف المباشر بدرجة كبيرة فى المراحل الأولى منه بالنسبة لكل الطلاب حتى الأكفاء منهم . ثم تقل درجة الإشراف كلما وقف الطلاب على أقدامهم . مثل هذا الأسلوب يفترض أن طالب الدراسات العليا الذى يكون دائما فى حاجة إلى إشراف طول فترة قيامه ببحثه هو طالب غير قادر على البحث .

٢- أسلوب التوجيه أو الإشراف المباشر فى المراحل الأولى والنهائية من البحث، والتقليل من هذا الإشراف فى المراحل الوسطى . فالمشرف يساعد الطالب فى البداية على صياغة البحث وإعداد خطته جيدا . ثم يقل تدخله العلمى مع استمرار توجيه التشجيع والنصحية عند الحاجة . وعندما يشرف البحث على الإنتهاء يعود ثانية إلى الإشراف المباشر لضمان سلامة كتابة البحث فى صورته النهائية .

٣- أسلوب الإشراف المباشر طول الوقت . فالمشرف يجب أن يكون على علم دائما وبصورة مستمرة بما يقوم به الطالب .

وقد كشفت الدراسة عن أسلوب رابع ذكره الطلاب هو أسلوب الإشراف غير المباشر . فالمشرف يكون بعيداً عن الطالب وقلما يوجهه أو يلتقى به طول مدة قيامه بالبحث . وهذا نص ما جاء على لسان الطلاب : «كان مشرفى سلبيا . فهو لم يوجه مطلقا أى نقد إلى بحثى ولم يعترض على الموضوع الذى اخترته لدراستى ولم يستطع توجيهى إلى كيفية القيام بدراستى . ومع أنه وافق لى على إنهاء رسالتى وقرأ كل فصولها فانه فى النهاية بعد إعداد الرسالة فى صورتها النهائية أبدي تحذيرا غامضا بأن هناك بعض الملاحظات . لقد ترددت فى التوجه إلى أساتذة آخرين خوفا من الإساءة إليه . ويبدو أن هذه الطريقة الأخيرة هى التى تسود نظام الإشراف العلمى فى الدراسات العليا فى جامعاتنا العربية .

والواقع أن هناك نظريتين متطرفتين إلى الدراسات العليا . على الطرف الأول نظرة ترى أن درجة الدكتوراه هى نوع من التعليم والتدريب . وعلى الطرف الثاني نظرية ثانية ترى أنها فرصة للتفكير المستقل . وبين الطرفين تتوزع وجهات نظر كثيرة تختلف فيما بينها تبعا لقربها أو ابتعادها وتبعا لدرجة اهتمامها ، كما يختلف الأمر أيضا بالنسبة للبحوث فى المجال العلمى والمجال الأدبى . ففى مجال العلوم يوضع للطالب برنامج واضح للدراسة عليه أن يتبعه . كأن يعطى فى الفصل الدراسى الأول مثلا مشكلة فى مجال اهتمامه ويطلب منه أن يحاول حلها . أو يطلب منه عمل استعراض كامل للبحوث السابقة المتصلة بموضوع بحثه ودراسته . أو يعطى تجربة درست من قبل لكى يقوم بإجرائها . وواضح أن هذه الطريقة تهدف أساسا إلى وضع الطالب فى مجال التدريب ولا مجال للاختيار للطالب . فمشكلة البحث محددة سلفا أو مفروضة عليه . أما فى المجال الأدبى أو مجال الدراسات الإنسانية فيبدو أن الطلاب يكونون فيها أكثرا استقلالا وأكثر عزلة .

والواقع أن هناك أمورا مشتركة بين المشرفين على طلاب الدراسات العليا فى مقدمتها : كيف يجعلون الطلاب يبدأون عملهم ؟ وكيف يحتفظون بحماسهم ؟ وكيف يسيرونهم وفق جدول زمنى معقول ؟ وكيف يساعدونهم فى كتابة الرسالة ؟.

ويبدو أن كتابة الرسالة تحظى باهتمام المشرفين . وقد كشفت بعض الدراسات عن الصعوبات المرتبطة بهذا الجانب منها دراسات ويلش السابقة ودراسة جالبريث Galbraith (١٩٨٠) . وقد وجدت ويلش من دراستها أن من بين ٦٤ طالبا فى الدراسات العليا ثلثهم لم يقدم أى عمل مكتوب خلال عامهم الأول وأن ٤٠٪ منهم لم يكن لديهم أية فكرة عن المستوى المطلوب للرسالة العلمية .

ومن التوصيات التى تقدمها هذه الدراسة ضرورة تشجيع الطلاب على الكتابة سواء فى صورة خطة للبحث أو الرجوع إلى الدراسات السابقة وكتابة مسودات الفصول .

ومن المعروف أن الجامعات تختلف فى نظم الحصول على درجة الماجستير . فهناك نظام المقررات الدراسية التى تشتهر به الجامعات الأمريكية، وعندما ينجح الطالب فى

هذه المقررات يحصل على درجة الماجستير . ومنها نظام الرسالة العلمية الذى تتبعه كثير من الجامعات العربية والغربية . فعلى الطالب - وفق هذا النظام - أن يكتب تحت إشراف أستاذ رسالة علمية فى موضوع معين . وبعد إعداد الرسالة يناقش فيها أمام هيئة ممتحنين من بينهم الأستاذ المشرف . ومنها النظام الذى يجمع بين النظامين السابقين .

وبالنسبة للحصول على درجة الدكتوراه توجد أنظمة مختلفة . منها نظام المقررات الدراسية مع كتابة أطروحة صغيرة وهو النظام الأمريكى . ومنها نظام الرسالة العلمية وهو النظام الشائع فى معظم الجامعات الأوروبية والعربية . وتشترط معظم الجامعات حصول الطالب على درجة الماجستير أولا قبل تسجيله لدرجة الدكتوراه وهو النظام الشائع فى الجامعات العربية . إلا أن بعض الجامعات لاسيما البريطانية لا تشترط ذلك . فقد يسمح للطالب الذى يدرس لدرجة الماجستير أن ينتقل مباشرة لدراسة الدكتوراه إذا أثبت كفاءته وقدرته على ذلك ويتم تقدير ذلك عن طريق المشرف العلمى . ولهذا النظام ميزاته وعيوبه .

كما أن الأقسام العلمية فى الجامعات المختلفة قد يكون لها وجهات نظر مختلفة حول هذا الموضوع . فكثير من الأساتذة فى بعض الجامعات لاسيما البريطانية قد يرون أن الحصول على درجة الماجستير فى الاقتصاد مثلا أهم بكثير من الحصول على درجة الدكتوراه . ولذلك فإن على طالب الدكتوراه أن يحصل أولا على درجة الماجستير . وهذا قد يكون أحسن نظام لإعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمشتغلين بالأعمال البحثية والأكاديمية .

وهناك من ينادى بجعل متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه أكثر مرونة منهم أستاذ علم النفس البريطانى باديلى (١٩٧٩) Baddeley فى مقالة له بعنوان : هل عفا الزمن على نظام الدكتوراه فى بريطانيا ؟ . فهو يرى إلغاء نظام الرسالة العلمية ويكلف طالب الدكتوراه بمراجعة الدراسات السابقة فى موضوعه والقيام بنشر بحثين صغيرين . إلا أن كثيرا من زملاء باديلى لا يوافقونه على رأيه ويفضلون الابقاء على نظام الرسالة العلمية .

وفى بريطانيا شكلت لجنة مديرى ورؤساء الجامعات البريطانية U.K's Committee of Vice- Chancellors and Principals (CVCP). مجموعة عمل عام ١٩٨٨ لدراسة موضوع الدكتوراه وقد أوصت المجموعة بإدخال مقررات دراسية ضمن برنامج الدراسة لدرجة الدكتوراه كما أوصت بإيجاد درجة الدكتوراه بامتياز Ph. D. with Distinction وقد أعدت هذه التوصيات فى ضوء المعلومات التى تجمعت لمجموعة العمل من استفتاء وزع على الجامعات البريطانيا لمعرفة رأيهم فى الممارسات الحالية فيها بشأن دراسة الدكتوراه ورأيهم فى إدخال مقررات دراسية إلى جانب إعداد رسالة .

كما أعدت التوصيات أيضا فى ضوء دراسة مقارنة أعدها هولمز أستاذ التربية المقارنة المعروف بجامعة لندن عن نظام منح الدكتوراه فى بعض الجامعات (اليابان - أمريكا - الاتحاد السوفييتى - ألمانيا الغربية) .

وقد بررت مجموعة العمل توصيتها بإدخال مقررات دراسية ضمن برنامج دراسة الدكتوراه إلى جانب إعداد رسالة على أساس أن هذه المقررات :

- مهمة فى تحسين نوعية الرسالة التى يعدها الطالب .
- تطور الدراسة وتعمق الموضوعات المرتبطة بالرسالة وبالتالى تفتح آفاقا جديدة للطالب .
- تعمل على إيجاد قدر موحد من المعرفة الأساسية بين طلاب التخصص الواحد.
- تفيد فى تكامل الطلاب مع الأقسام الأكاديمية المختلفة وتساعد الطالب على التغلب على عزلة البحث العلمى .
- توسع أفق المعرفة عند الطالب وتزوده بخلفية تمكنه من التدريس الجامعي فى المستقبل .
- لا يترتب عليها تأخير حصول الطالب على الدكتوراه إذا أحسن استخدامها .

طالب الدراسات العليا :

بالنسبة لنظام إختيار الطلاب للدراسات العليا توصلت الدراسات إلى خلاصة متناقضة ومتضاربة . ففى دراسة وينفيلد Winfield التى أجراها عام ١٩٨٧ راجع فيها عدة دراسات توصل إلى نتيجة مفادها أن المعيار الأول الرئيسى للإختيار

لدراسة الدكتوراه فى العلوم الإجتماعية هو الدرجة الجامعية الأولى . وقد وجهت لهذه الطريقة انتقادات كثيرة على أساس أن امتحان السنة النهائية الجامعية له درجة ضعيفة فى التنبؤ بالنجاح فى دراسة الدكتوراه . وهناك نتيجة مغايرة توصلت إليها الدراسات الحديثة منها دراسة رد Rudd ١٩٩٠ إن نوعية الطالب الذى يصلح للدراسات العليا تتوقف على مدى استقلاليته فى التعلم وقدرته الإبتكارية . ويبدو أن التعليم الثانوى والجامعى فى حد ذاتهما لا يوفران ذلك للطالب . وهذا يعنى أن نظام الاختيار للدراسات العليا يجب أن يعتمد على الصفات الشخصية للطالب ومدى قدرته على مواصلة الدراسة المستقلة بنجاح وتفوق . وربما كان النظام الأفضل لاختيار الطلاب للدراسات العليا هو الذى يجمع بين الأسلوبين : أسلوب الدرجة الجامعية الأولى وأسلوب الصفات الشخصية لأن الأسلوب الأخير لا يمثل حلا أفضل للمشكلة .

وتشير الدراسات إلى أن المشكلات العامة لطالب الدراسات العليا فى الجامعات الغربية تتمثل فى :

- ضعف الطالب فى تخطيط البحث والقيام به .
- وجود صعوبات منهجية يواجهها الطالب فى البحث .
- نقص المهارات الأساسية فى كتابة البحث لدى الطالب .
- عزلة الطالب .
- وجود مشكلات شخصية للطالب خارج إطار البحث .
- إهمال الإشراف على الطالب وعدم فعاليته .

وهى مشكلات تنسحب بدرجات متفاوته على طلابنا فى الجامعات المصرية . وينبغى أن يحذر طالب الدراسات العليا من الأمور الآتية :

- تأخير الإشراف عليه أو تأجيله .
- إنتحال المعاذير لما لم ينجزه من عمل .
- التركيز على الخطوة التالية بدلا من الخطوة الحالية .
- تغيير موضوع البحث أو عنوانه بصورة متكررة .
- شغل الوقت بأشياء أخرى .

- الحد من سماع النصيحة أو النقد .
- التسويف فى كتابة البحث .
- إضفاء العقلانية على المشكلات العملية .
- لوم الآخرين على تقصيره .

تقويم الإشراف على الدراسات العليا :

أظهرت معظم الدراسات التى أجريت على نظام الإشراف على الدراسات العليا عدم كفاءتها وفاعليتها . وقد توصلت بعض هذه الدراسات إلى خلاصة مفادها أن لدى طلاب الدكتوراه عدم رضا عن نظام الإشراف . بيد أن عدم الرضا يختلف تبعا لإختلاف نوع الدراسة . وتزداد نسبة عدم الرضا بين طلاب دراسة الدكتوراه فى العلوم الإجتماعية أكثر من غيرهم فى العلوم الطبيعية . وهناك من الأدلة ما يشير إلى أن الطلاب بصفة عامة يفضلون أن يجدوا أو يختاروا المشرف الذى يتوفر لديه الإهتمام والمعرفة بموضوع الدراسة الذى يقومون به .

وحظى موضوع العلاقة بين الطالب والمشرف ببعض الدراسات . وأولت إهتمامها إلى الجانب النفسى الإجتماعى لهذه العلاقة الإشرافية . وقد لفتت هذه الدراسات الإنتباه إلى أن نوع العلاقة بين الطالب والأستاذ المشرف يحدد بدرجة كبيرة نجاح الطالب أو إخفاقه فى الحصول على الدكتوراه . كما أشارت إلى نقطة التوتر فى العلاقة بين الرغبة فى الاستقلال من جانب الطالب وسلطة الاشراف والتوجيه الأكاديمى من جانب المشرف . ومن الطبيعى أنه لكى يصبح طالب الدكتوراه باحثا جيداً أن يتحول بالتدريج كلما تقدم فى الدراسة من التبعية فى الاشراف إلى الاستقلال والزمالة فى المهنة .

إن العلاقة بين الطالب والمشرف هى علاقة دينامية . وتختلف باختلاف المشرف والطالب . فقد يكون المشرف وأسلوبه مناسبا لطالب ما وغير مناسب لطالب آخر . ولذلك من الصعب أن نجد صورة موحدة للإشراف الفعال .

إن هناك أدلة موضوعية تشير إلى أن إنتهاء الطالب من دراسة الدكتوراه يتوقف إلى حد كبير على عدد مرات وجلسات الإشراف . فكلما زادت جلسات الإشراف

ساعد ذلك على إنهاء الطالب دراسته بسرعة أكبر وفى وقت أقل . وقد قامت بعض الدراسات بدراسة عدد جلسات الإشراف وأظهرت نتائجها أن ٢٥٪ من طلاب الدكتوراه فى العلوم الإجتماعية يعتقدون أنهم لم يتلقوا إشرافا كافيا فى المراحل الأولى من دراستهم . كما أظهرت النتائج أن المشرف الذى يشرف على أعداد كبيرة من الطلاب ينهى أعمالا كثيرة نسبيا .

أما بالنسبة لنوعية الإشراف فهى تتوقف على نظرة المشرف إلى دراسة الدكتوراه . فهناك وجهة نظر ترى أن دراسة الدكتوراه هى تعليم Education وهى بهذا المعنى ينبغى أن تتوصل إلى حقائق علمية أصيلة تمثل إضافة جديدة للمعرفة . وعلى هذا فمدة الإشراف تتوقف على مدى قدرة الطالب على التوصل من خلال دراسته إلى المعرفة الجديدة كما تتوقف أيضا على مدى استعداده للإنخراط الأكاديمى فى المهنة . وهناك وجهة نظر ثانية ترى أن دراسة الدكتوراه تدريب Training للطالب على إجادة مهارات البحث العلمى . وإذا ما تمكن الطالب من إجادة استخدام المنهج العلمى استخداما صحيحا فإنه يعتبر قد وصل إلى الغاية المنشودة .

وبالنسبة لأسلوب الإشراف أكدت الدراسات الحديثة تفضيل الطلاب لوجود بيئة مواتية ووجود علاقة شخصية بين الطالب والمشرف . وبعض الدراسات أظهرت عدم رغبة الطلاب فى وجود مثل هذه العلاقة الشخصية . وفضلوا عليها العلاقة الأكاديمية القوية التى لا تقوم على التبعية . وأظهرت بعض الدراسات أن الإشراف الفعال هو الذى يجمع بين الصفات الشخصية والمهنية لكل من المشرف والطالب والذى يقوم على التوجيه الأكاديمى المصحوب بدفء العلاقة الشخصية .

أهم الإنتقادات :

إن من أهم الإنتقادات التى وجهت إلى نظام الإشراف فى الجامعات الغربية ما يلى:

- قلة إجتماع المشرف مع الطالب .
- إنعدام إهتمام المشرف بالطالب .
- إنعدام إهتمام المشرف بموضوع البحث .
- قلة المساعدة العملية التى يقدمها المشرف للطالب .

- قلة توجيه المشرف للطالب .
- تأخير المشرف إعادة فصول أو أجزاء البحث للطالب .
- تغيب المشرف عن الحضور للقسم .
- قلة خبرة المشرف بالبحث العلمى .
- قلة المهارات والمعارف اللازمة للإشراف .

ويصدق هذا النقد على نظام الإشراف فى جامعاتنا العربية بصورة عامة .

أهم الضمانات :

إن من أهم الضمانات التى تجعل نظام الإشراف جيدا بالجامعات أن تحاول المؤسسة دائما أن تجيب على الأسئلة الآتية :

- هل هناك مقررات تقدم أو متاحة للطالب فى مهارات البحث العلمى وأساليبه المنهجية ؟
- هل تتوفر المساعدة للطالب الذى يفتقر إلى مهارات متقدمة فى البحث العلمى؟
- هل يتوفر أكثر من مصدر واحد للنصيحة والنقد للطالب ؟
- هل يتوفر للطالب معرفة بطريقة الإتصال بذوى الخبرة المتخصصة عندما يحتاج لذلك ؟
- هل تتوفر السيمنارات وغيرها من الإجتماعات التى يمكن لطالب الدراسات العليا أن يعرض عليها بحثه ؟
- هل يوجد إجراء يمكن أن يتخذه الطالب في حالة عدم رضائه عن الإشراف عليه ؟